العرب
الإثنين 2020/11/23
السنة 43 العدد 11890

«الحرية والمساواة والأخوة» محل نقاش دائم

مواقف كثيرة صيغت بأسلوب يسرّ الصغار والكبار

شعار فرنسا محل مُساءلة في عرض مسرحي

بناء المعنى يتمّ بالنقاش والاختلاف والخصام لا بالتنظير والكلمات الرنّانة

لئن حمي الجدل اليوم حول قضية حرية التعبير، فقد رافقه جدل آخر حول المبادئ التي قامت عليها الدولة الفرنسية، وهو موضوع عمل مسرحي عنوانه "الشعار"، من تأليف فرنسوا بيغودو وإخراج بونوا لامبير.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

بعد العرض الذي قدّمه في الكوميدي فرانسيز العام الماضي بعنوان "ما المسرح؟" يواصل المخرج بونوا لامبير ثلاثيته التي بدأها بـ"التاريخ الكبير" و"الخبر السعيد" من خلال عمل جديد عنوانه "الشعار"، ويتناول هذه المرة الأسس التي قامت عليها الجمهورية الفرنسية.

وقد تولّى تأليف هذا الجزء، كما هو الشأن بالنسبة إلى الجزأين السابقين، صديقه فرنسوا بيغودو، إيمانا منه بأن بناء المعنى يتمّ بالنقاش والاختلاف وحتى الخصام، وأن غايته دفع الناس، الشباب بخاصة، إلى تأمل فكري حول معنى الجمهورية وشعارها "الحرية والمساواة والأخوة". ذلك الشعار الموروث عن عصر التنوير إبّان الثورة الفرنسية أول مرة، والمفروض في ظل الجمهورية الثالثة، كجزء من التراث الفرنسي، قبل أن يُدرَج في دستور عام 1958.

فكرة المسرحية بسيطة، بطلها شخص تكلفه الجهات الرسمية بتقديم محاضرة عن ذلك الشعار الذي يحمل مبادئ كونية جاءت بها ثورة 1789 وصارت جزءا من تراث فرنسا، فأعدّ مسودة محاضرته التي سيلقيها في مختلف المعاهد لتوعية النشء بقيم الجمهورية، وتعميق الحسّ الوطني، وراح يراجعها مع امرأة خبيرة. فكانت تناقشه في كل مقطع، وتعترض على ما يقترحه، بل وتفكّك حججه وبراهينه.

فينشأ بينهما الجدل، هادئا حينا ومحتدّا في أغلب الأحيان حول معنى الكلمات، وهي طريقة ذكية لعرض عدة وجهات نظر متباينة دون السعي إلى تقريبها من بعضها بعضا، لأن الغاية ليست فرض قناعات خاصة بل فتح باب النقاش. بل إن كثرة نقاط الاختلاف بين المتدخلين تولّد الشكّ في مدى مشروعية هذه المبادئ التي تريد أن تكون كونية.

والمراجعة أو المراقبة تعلمه بشروط لقاء الشباب دون بهرج، فلا بذلة ولا منبر ولا نبرة رسمية، وإنما هو أشبه بلقاء ودّي بين مدرس لطيف وتلاميذ يحبون الاستماع إلى دروسه.

فهي تلحّ على ضرورة حذف كل ما يُشعر المراهقين بأنهم أمام زعيم سياسيّ يريد توجيه آرائهم نحو فكرة محدّدة، من جهة الشكل كما أسلفنا، ومن جهة المضمون أيضا، إذ تعترض على الكثير من التعابير المتداولة في وسائل الإعلام، تلك التي صارت خاوية، خالية تقريبا من المعنى في أذهان المتلقين مثل "قيم"، و"مصطلحات" و"مفاهيم". ولكن كيف يمكن لتلك المبادئ أن تعني شيئا إذا رددْناها إلى ما تعنيه في واقع اليوم؟

ذلك أن المسرحية لا تلتزم بالمعنى القاموسي للكلمات، بل تحفر في مدى علاقتها بالواقع الراهن. فهل تعني الحرية مثلا أننا نستطيع أن نفعل كل ما نشاء؟ كيف يمكن إذن أن نجعل الحرية مطلقة ثم ندرج ضمنها احترام الآخر؟ أليست في تناقض مع المساواة؟ ثم كيف يمكن أن ندافع عن مبدأ المساواة في منظومة مجتمعية قائمة على التفاوت الاجتماعي والاقتصادي؟

ولماذا وردت الأخوة بصيغة المذكر Fraternité وليست بصيغة المؤنث Sororité؟ أليس في ذلك تمييزٌ للذكور عن الإناث في بلد يرفع شعار المساواة؟ فكيف يمكن أن نقتنع بالأخوة وهي تقصي النساء من تسميتها؟ أي أننا لو نحلل بدقة كل مبدأ من مبادئ الشعار الفرنسي فسوف نقف على عدة تناقضات. وذلك ما تهدف إليه المسرحية: أن تدفع المتفرّج إلى النظر إلى ما وراء الشعارات البراقة، والتساؤل عن مدى التزام بلاده بمبادئ الشعار الذي ترفعه، رغم ما تنطوي عليه المسرحية من أفكار قد تنعت مؤلفها ومخرجها بانعدام الوطنية، لاسيما في هذا الظرف المتوتر.

والمسرحية، إذ تتعرّض لتلك المبادئ لا تتناولها بالتمجيد ولا بالسخرية، وما الضحك الذي تثيره في الجمهور إلاّ نتيجة مقاربة المحاضر لبعض المفاهيم، والطريقة التي ينوي بها تقديمها للأطفال، بدعوى أنهم مراهقون، واعتراض السيدة المكلفة بتصويب خطابه وتوجيهه توجيها يصيب غايته.

ويقول لامبير "من الذي يهتم بالشباب اليوم سوى نحن والمدرسة، وكلانا محطة للثقافة، يستطيعون أن يجدوا فيها ما لا يجدونه في عالم المباريات والمسابقات التي تلغي تفكيرهم بغية دمجهم في مجتمع الاستهلاك".

أما بيغودو، وهو روائي وسيناريست أيضا، كتب سيناريو شريط "بين الجدران" الذي فاز بالسعفة الذهبية لمهرجان كان عام 2008، فقد صرّح "نأتي بالمسرح إلى المعاهد لفتح باب النقاش حول مسائل جوهرية، تخصّهم هم بالدرجة الأولى كجيل مدعو إلى بناء المستقبل، كي يعرف ما له وما عليه، بعيدا عن الشعارات السياسية، المضللة في أغلب الأحيان".

> **كثرة نقاط الاختلاف بين المتدخلين تولّد الشكّ في مدى مشروعية مبادئ الثورة الفرنسية التي تريد أن تكون كونية**

لقد أعدّ العمل كي يعرض في شتى الفضاءات المسرحية والثقافية وخاصة المدرسية، لإيمان المخرج وصديقه بأن الفرد ليس مستلَبا في اختياراته، وأن المراهق يفكّر أكثر ممّا يتخيله الكبار، وأنهما يقترحان مادة قد يستغلها المدرّسون كما يهوون، لأن في دخول المسرح إلى المؤسسات التربوية فوائد جمّة ليس أقلها دفع السّأم وخلق روح مرحة، لاسيما أن "الشعار" يحتوي على مواقف كثيرة مصوّغة بأسلوب يسرّ الصغار والكبار.

فيلم «حبس انفرادي» رحلة مستقبلية في الفضاء الخارجي لشخصيات متمردة على القانون

لا شك أن المستقبليات وشكل الحياة في الزمن الآتي لا تزال موضوعا مفضلا في سينما الخيال العلمي التي تستلهمها من الأدب. ومن هنا تحضر التطوّرات الهائلة في نمط الحياة مقابل الخراب الذي يكون قد ضرب الأرض بسبب الحروب أو الأوبئة أو ثورات الطبيعة.

طاهر علوان
كاتب عراقي

في مستقبل يمتد إلى قرابة ثلاثين عاما من الآن، يعالج فيلم "حبس انفرادي" للمخرج لوك أرمسترونغ ثيمة المستقبليات وشكل الحياة في الزمن القادم، حيث تصبح الأرض غير صالحة للسكنى لأسباب شتى، وحيث يجري استكشاف مجرات وأماكن أخرى نائية لغرض نقل البشر إليها.

في موازاة ذلك سوف يكون إسحاق (الممثل جوني ساتشون) هو أحد ضحايا الواقع الجديد، وببساطة شديدة، سوف يجد نفسه في داخل صندوق هو أقرب إلى كبسولة فضائية في زمان ومكان مجهولين.

يفتتح الفيلم بمشهد مطاردة يقع فيه إسحاق بين أيدي مجموعة مسلحة، يبدو أنها هي التي سوف تقوده إلى مصيره الجديد، حيث يتم اختياره من بين الكثيرين لخوض المغامرة وإثبات إمكانية العيش في الفضاء الخارجي من عدمه.

والحاصل أن الاختيار يقع في الغالب على شخصيات يمكن التضحية بها، ومنهم الذين اقترفوا جرائم أو لديهم سجل إجرامي، وهكذا سوف تنضمّ آلانا (الممثلة لوتي تولهرست) إلى تلك الرحلة، حيث سوف يلتقي الاثنان في تلك الرحلة من دون معرفة مسبقة ببعضهما البعض.

واقعيا، سوف نتابع أحداثا في حدود مساحة مكانية ضيقة على افتراض أنها مركبة تسبح في الفضاء الخارجي، وبذلك يتم التركيز على الحوار من جهة ومشاهد العودة إلى الماضي من جهة أخرى، لغرض إيصال المعلومات إلى المشاهد.

كان ذلك الحيز المكاني المحدود كافيا لتأطير الأحداث وصعوبة الخروج منها بإضافات تعزّز الدراما وتدفع بالأحداث نحو تصعيد جديد بإضافة حبكات ثانوية، لكن بدء الشخصيتين المتعارضتين في الكشف عن ماضيهما كان كافيا لتطوّر الدراما الفيلمية.

سوف نكتشف خلال ذلك أن إسحاق يتحمل تبعات أخطاء صديقته التي وقعت في خلاف مع زعيم إحدى العصابات، فلم يكن أمامه سوى إبعادها إلى مدينة نائية وتحمّل تبعات ما قامت به، ومن هناك سيضطر إلى ارتكاب جريمة قتل لم يكن يقصد ارتكابها.

من جهة أخرى، سوف نكتشف أن آلانا لم تكن إلاّ مدمنة على المخدرات وأن لديها دوافع انتقامية ضد أشخاص تعرضوا لأمها فتقوم بالانتقام منهم، ونشاهد سلسلة من عمليات القتل بدم بارد ترتكبها في حق العديد من الأشخاص.

هنا سوف تلتقي الشخصيتان في أزمات متشابهة تدفعان ثمنها، ومهما حاولت آلانا التقرّب أكثر من إسحاق إلاّ أنها تفشل في كل مرة، حيث بدت شخصيته سلبية ومتذبذبة على عكس آلانا التي بدا واضحا أنها تعرف ما تريد.

يعمد المخرج في ما بعد إلى نقلنا إلى نوع من الصراع الذاتي بين الشخصيتين يدفع بهما إلى مواجهة غير متوقعة، وخاصة إدعاء آلانا على إسحاق بأنه أحرق المركبة الفضائية وما إلى ذلك.. وكل هذا قبيل ساعات من عودتهما من المهمة الفضائية.

إلى هذه المرحلة من البناء الدرامي، لا شك أننا سوف نفتقد إلى عنصر التشويق الكافي الذي يجمّل ذلك الصراع ويمنحه بعدا إنسانيا، فحتى علاقة إسحاق بصديقته بقيت في حكم المجهول، لأنها لم تظهر قط، ولم يكن هناك إلاّ صوتها من خلال حوار عبر الهاتف دار في ما بينهما.

تبدو إشكالية بحث الشخصيات عن مخرج من مأزقها قد تحوّلت إلى ثيمة أخرى ببثّ حبكات ثانوية جعلت الشخصيتين على مستوى متقارب من السلبية، وباتجاه الوصول إلى أهدفهما أو في الأقل الخروج من المأزق الذي هما فيه.

وفي وسط تلك الدراما، بدا أن كلتا الشخصيتين قد وقعتا في مربع عصابات أخرى تتحكم بمصائر البشر، وهو قسم مهم في البناء الدرامي لم يتم تسليط الضوء عليه بما يكفي، إذ لم يكن مشهد البداية قد أعطى ما يكفي من معلومات حول واقع الحياة تحت تلك المافيات.

> **الفيلم يستعرض مغامرة ثنائية لرجل وامرأة تم الدفع بهما في داخل كبسولة فضائية في زمان ومكان مجهولين**

ولا شك أن كون الفيلم من نوع الأفلام قليلة التكلفة واعتماده على حيز مكاني ضيق، قد منح المخرج فرصة إضافية لإيجاد مداخل أخرى للحبكة الدرامية كي يخرج من خلالها بحصيلة تتعلق بنمط تلك الحياة المستقبلية، لكنه لم يول ذلك الأهمية الكافية، ولهذا بقي تركيزه على الشخصيتين وهما في أزمتيهما.

وأما إذا عدنا إلى نوع الاكتشاف الذي غالبا ما تحفل به الأفلام المستقبلية أو ذلك النوع من الأفلام التي تخوض في الفضاءات الخارجية، فإن هذا الفيلم لم يول هذا المحور الكثير من الاهتمام، ولم يقدّم حبكات ثانوية تعزّز البناء الدرامي وتنقل مستويات الصراع إلى ما هو أبعد من الحوارات بين الشخصيات.

في المقابل، اتجه المخرج نحو تأجيج الصراع بين الشخصيتين كبديل عن نزعة الاكتشاف التي كنا في انتظارها، وبذلك ضعفت مساحة الدهشة أو متعة الاكتشاف المعتادة التي يحتويها هذا النوع من الأفلام.

كبسولة فضائية مليئة بالمفاجآت

النحت يتنفس ويعيش

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قريبا من وول ستريت بنيويورك رأيت منحوتة لجيف كونز، وهو من الفنانين المعاصرين الذين ذاع صيتهم عبر العشرين سنة الماضية وتباع أعماله بملايين الدولارات.

حينها تذكّرت أنني قد وقفت مرات عديدة أمام تماثيل النحات البريطاني هنري مور التي تنتشر في شوارع وساحات لندن. سيغضب النحاتون والمهتمون بالنحت لو قلت إنني أقمت مقارنة بين منحوتة كونز وتماثيل مور. وأنا لا أجرؤ على القيام بذلك.

غير أنني تذكّرت حينها صورا وأفلاما للنحات البريطاني وهو يعمل بيديه حاملا آلات النحت، فقلت لنفسي "من الخطأ أن أسمي عمل كونز منحوتة. إنه ليس كذلك وهو لا يمت إلى النحت بصلة. فكونز لم يمد يده إلى كتلة العمل الفني. لم يلمسه بأصابعه. لم يتحسّسه. هذا العمل هو من صنع ماكنة ذكية".

هناك حول العالم الآن المئات من الفنانين ممّن هم على شاكلة كونز. يصنعون مصغّرا لعملهم ثم يذهبون به إلى المصنع ليقوم بتكبيره. لتكون النتيجة عملا يخلو من آثار يد الفنان.

ولكن هل يبقى شيء من خياله؟

أشك في ذلك. فالعمل الفني لا يكتمل في النموذج المصغّر "ماكيت". ولا تنحصر مهمة النحات في تكبير ذلك المصغّر. هناك ما يحدث أثناء العمل. حذف وإضافة. بعدهما قد لا يشبه العمل مصغّره.

لقد حدثت تغيرات جوهرية في الشكل. ذلك هو النحت الذي هو كدح يومي لا يفارقه الخيال. أما أن ينحصر عمل الفنان في عملية ابتكار المصغّر، فإن ذلك ليس نحتا إنما يدخل في مجال التصميم. وهو ما يقوم به الفنانون العاملون في الشركات الكبرى من غير أن يكونوا نحاتين.

إن ما يحدث اليوم ينطوي على قدر هائل من الخيانة التي تصيب فن النحت في مقتل. غير أننا ينبغي أن لا نفقد الأمل. هناك نحاتون حول العالم ما زالوا مخلصين لمبادئ النحت. ما زالت أياديهم تفكّر وهي تلامس المادة التي يصنعون منها أعمالهم. لم تخدعهم هذيانات نقاد ما بعد الحداثة. فالمنحوتة ليست فكرتها وهي ليست شكلها المجرّد من المشاعر والأحاسيس.

من مايكل أنجيلو إلى برانكوزي مرورا بروودان لم يتخل النحت عن طابعه الشخصي، فعل فرد واحد يودّ لو أن المنحوتة قد أخذت شيئا من أنفاسه.

هناك فرق بين النحت والتصميم (عمل فني لجيف كونز)